د. محمد علي مكي

حقائق ومفاهيم لبنانية

١ ــ حقائق

١ ــ ان لبنان مؤلف من طوائف ، استقرت فيه منذ مدد مختلفة يصل زمن بعضها الى اكثر من الف سنة .

٢ ــ ان تواجد هذه الطوائف في لبنان كان من اجل الامن وحفظ الذات وعدم الذوبان في بوتقة المنطقة .

٣ ــ تكوّن مع الزمن لدى الطوائف اللبنانية ، بسبب التأقلم الجغرافي ، انتماء لبناني طائفي ، اي وطنية طائفية

٤ ــ ان عناصر عديدة مكونة للطوائف ليست من اصول عربية كالاكراد واليونان والروم والارمن والفرس والصليبيين ولكنهم استعربوا حضاريا مع الزمن .

٥ ــ ان الطوائف اللبنانية ببعض عناصرها غير العربية الاصل ، وبمذهبها المخالف لاكثرية سكان المنطقة العربية ، تحولت الى قوى سياسية اجتماعية وثقافية متماسكة : مثل الدروز والموارنة والشيعة . اما السنة فقد تفلفل فيها العنصر التركي والكردي ولكن وحدة المذهب مع المنطقة العربية لم تحولهم الى طائفة متماسكة وملتجئة كما هو حال بقية الطوائف .

٦ ــ طوائف لبنان كانت دائما حذرة من الاندماج السياسي مع اكثرية المنطقة ، ولكنها كانت تتفاعل معها حضاريا على اوسع نطاق عندما لا يكون الاندماج السياسي هدفا في الافق .

٧ ــ لبنان الوطن مفهوم جديد على جميع الطوائف بدأ بالظهور تدريجيا منذ سنة ١٩٢٠ وعمليا بعد الاستقلال سنة ١٩٤٣ .

٨ ــ الولاء للبنان عند كل طائفة يخفي الولاء للطائفة اكثر بكثير من الولاء للوطن .

٩ ــ في القرن التاسع عشر ، وامام محاولة تطور بلدان الدولة العثمانية ، وضعت الطوائف اللبنانية نفسها تحت حمايات اجنبية : الموارنة في حماية فرنسا ، والكاثوليك في حماية النمسا والارثوذكس في حماية روسيا والدروز في حماية انكلترا والشيعة في حماية ايران . ولم يبق سوى السنة الذين ظلوا بشكل عام في الخط العثماني التقليدي . هذه الحمايات ذات دلالات هامة في فهم تاريخ نفسية الطوائف اللبنانية ، ومن هذه الدلالات رفض الاندماج السياسي في بوتقة المنطقة .

١٠ ــ ان دائرة الولاء في لبنان كانت في الماضي ضيقة حتى تصبح ولاء طائفيا فقط ، ثم تتسع بمحاولة ابتلاع الطائفة لجميع الطوائف في لبنان . وفي الحالتين كانت الطائفة تقع في خطأ مميت . فاذا تقوقعت الطائفة تصبح حركة انفصالية تتحدى الجميع في المنطقة واذا اتسعت الطائفة وانفلشت تشكل تحديا لبقية الطوائف في لبنان . لذلك كان ولاء المواطن اللبناني يتراوح ما بين التقوقع والانفلاش ، فما تقوقعت طائفة الا وضربت ، وما انفلشت طائفة الا وضربت . والاعتدال هو الذي يناسب الولاء اللبناني : ولاء لا يتقلص الى حدود الطائفة ولا يزيد حتى يسيطر على الاخرين .

١١ ــ التعايش الاسلامي المسيحي حقيقة ظاهرة هامة جدا في نطاق الحضارة ، ولا يملك اللبنانيون بمفردهم ان يدمروا هذا التعايش لانه رائد للتعايش الاسلامي المسيحي في العالم كله . وهذا التعايش الحضاري هو اغلى واهم بكثير من التفكير بتحويل اللبنانيين الى امة قائمة بذاتها لتناقض ذلك مع منطق التاريخ ، ولما في ذلك من التحدي الخطير للمجتمع العربي .

١٢ ــ شعار العروبة شعار رفعه المسيحيون في وجه التيار الاسلامي العثماني . ولما امتص التيار الاسلامي شعار العروبة تخلى المسيحيون عنه ، لان رفع الشعار في البدء ، ثم التخلي عنه فيما بعد كان لهما معنى واحد هو نوع من الدفاع عن الشخصية المسيحية .

من هذه الحقائق التاريخية اللبنانية يتوجب علينا استخلاص الجواب على السؤال الملح الذي يطرح علينا من وقت الى آخر وهو اي لبنان نريد ؟ واية عروبة نريد ، واي ولاء وطني نريد ، واية هوية نريد ، ثم اي نظام نريد ؟

ان الارادة التي تفعل في الاوطان هي الارادة التاريخية ، وليست ارادة العاطفة او اية ارادة عفوية . لذلك نستنتج من الحقائق الاثنتي عشرة السابقة مبادىء الولاء القومي والوطني في لبنان التالية :

١ ــ ان لبنان جزء من العالم العربي ، ولكنه متميز بتوازن طوائفه ، وليس يتواجد طوائفه ، لان البلدان العربية جميعا تتواجد فيها الاقليات المختلفة ولكنها لا تتوازن .

٢ ــ انه بسبب توازن الطوائف اللبنانية اصبحت عروبة لبنان متميزة بانها تنبع من واقع لبنان ،وبالتالي فان عروبة التبعية لا ولاء لها في الوطن اللبناني .

٣ ــ الولاء للوطن اللبناني ، والولاء للعروبة النابعة من الاصالة اللبنانية هما ولاء واحد ومطلق .

٤ ــ يجب ان تكون تعددية الطوائف اللبنانية كما كانت دائما اغناء للوطن وللحضارة العربية والعالمية ، وليس سببا للمنازعات .

٢ ــ مفاهيم لبنانية

الانتماء ــ الولاء ــ الهوية .

١ ــ الانتماء :

الانتماء هو الاصل الذي ينتمي اليه الانسان ، سواء من الناحية الاثنية او القومية او الدينية . والانتماء بهذا المعنى ليس عاطفة ولا ارادة ، انما هو قدر لانه يمت الى التاريخ .

وبالنسبة الى اللبنانيين ، يجب الاعتراف بان لهم انتماءات مختلفة بسبب ترسبات الشعوب والدول عبر الازمنة التي مرت على لبنان ، وبسبب الجماعات المتنوعة التي قدمت اليه عبر آلاف السنين احتماء بجباله من الاضطهاد ، او ارتزاقا .

ان الشعب اللبناني يتألف اليوم من عناصر عديدة الانتماء ، بغض النظر عن المذهب او الدين : فهناك من ينتمي الى اصول عربية ويدين بالاسلام او بالمسيحية . وهناك من ينتمي الى اصول ارمنية او كردية او فارسية او تركية او يونانية او صليبية ويدين بالاسلام او بالمسيحية . والامثلة تغطي المجتمع اللبناني بكامله من شماله الى جنوبه . لذلك يصعب جدا تعميم الانتماء في لبنان او فرضه على الجماعات او على الوطن كله . لذلك يبقى ويجب ان يبقى الانتماء منحصرا في الاطار الفردي او العائلي .

ان كثيرا من الناس ، في داخل لبنان وفي خارجه خلطوا ما بين الانتماء والدين ، فقالوا بعروبة ملونة بالاسلام فأيدها البعض وانكرها بعض آخر ، واختلط الامر على الناس . وقد جرّ هذا الامر على اللبنانيين عجبا ، اذ فرض على اعرق المسيحيين نسبا في العروبة ان يتنكروا لها بسبب الدين ، وفرض على ابعد الناس من المسلمين نسبا الى العروبة ان يؤمنوا بها بسبب الدين كذلك .

هذا الخطأ الفادح يظهر اليوم علة العلل في لبنان ، لانه يسيء للدين ويسيء للعروبة ويسيء للوطن .

ايها السادة : ان اعدادا ضخمة من المسيحيين ينتمون الى اعرق القبائل العربية ، وبعضهم من قريش بالذات . كما ان اعدادا ضخمة من المسلمين ينتمون الى اصول تركية وكردية وصليبية . فالى متى التجاهل . ان الفتنة ترضع من الجهل . لقد خلطنا بين الانتماء والولاء . الانتماء هو حقيقة تاريخية يجب عدم انكارها ، ولكن يجب في الوقت ذاته عدم الزام الناس بالتنكر لانتماءاتهم . الانتماء قدر اما الولاء للوطن فهو ارادة .

٢ ــ الولاء :

هو الرباط العاطفي والمصلحي والمستقبلي الذي يربط الانسان بالوطن او بالمنطقة حيث يعيش ويتفاعل مع غيره في بناء الوطن . هذا الولاء يجب ان يكون ملزما لجميع ابناء الوطن لانه اختيار وارادة . ومن لا يكون لديه ولاء لوطنه فهو خارج عن اطار الوطنية ، لانه يكون قد اختار بنفسه هذا الخروج ، فتسقط عنه حقوق المواطنية . وهنا يجب التمييز بين الولاء الوطني الذي هو واجب ، والولاء للسلطة الذي هو تحرك سياسي في اطار الوطن بالذات .

على هذا الاساس يجب ان يكون ولاء جميع اللبنانيين لوطنهم لبنان ــ كل لبنان ــ بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية او الاثنية او القومية او السياسية : لان اية محاولة لربط الولاء الوطني في لبنان بالانتماءات الدينية او القومية تؤدي فورا الى تمزيق وتحطيم مؤسساته ومجتمعاته المختلفة . ومن هنا يتوجب رفض الفيدرالية والوحدوية والكانتونية والتعددية السياسية .

فليكن ان لا ولاء فوق الولاء للوطن ،وان الانتماءات غنى له وليست مرضا فيه ، وان من هذا المعنى نستخلص الهوية التي تجمع ولا تفرّق .

٣ ــ الهوية :

هوية الوطن تستمد دائما من مختلف الانتماءات التي تربط الوطن بجذوره التاريخية ، بالاضافة الى تأثير الموقع الجغرافي ، وتفاعل البيئة ، ومن هذا النحو كان دخول لبنان في جامعة الدول العربية ومختلف مؤسساتها ، وبالتالي اعتبار لبنان جزءا من العالم العربي مستقلا سيدا وحرا .

هذه الهوية المميزة للبنان عن غيره من البلدان العربية تجعله متفاعلا ومتعاطفا مع البلدان العربية الشقيقة ، لا ذائبا ولا معرضا للذوبان ، اذ من ركائز تلك الهوية الحفاظ على شخصيته واستقلاله وسيادته .

كما ان تلك الهوية المميزة تجعله كذلك متفاعلا ومتعاطفا مع دول العالم في اطار الحفاظ على رباطه العربي . ومن هنا يمكننا القول بوجود عروبة لبنانية خاصة مختلفة عما هو معروف وسائد في معظم الاقطار العربية . ان عروبتنا اللبنانية تتغذى حضاريا من التيارين الاسلامي والمسيحي ، وتنفتح على حضارات العالم . انها عروبة تقوم على الفصل بين الانتماء والولاء .

انها عروبة تسند كيان لبنان وسيادته ورسالته الحضارية ولا تهدده بالتذويب او الانجراف .

انها عروبة اصيلة نابعة من قناعة وليست وليدة مساومة ، وعرضة للتغيير وفقا لتقلبات السياسة .

العروبة اللبنانية هي رسالة لبنان نحو العرب من جهة ، ونحو العالم من جهة ثانية ، وهي بذلك قيمة . كما انها المختبر الحضاري في المنطقة بكاملها للصالح العالمي .